

المحاضرة الأولى

مصطلح الخطاب في الموروث اللغوي العربي القديم

الدكتور عباس عبدالحليم عباس
الجامعة العربية المفتوحة

الأربعاء 16 محرم 1435هـ- الموافق 20 تشرين الثاني 2013م

الخطاب كلمة مركبة، وردت في ميادين معرفية مختلفة، حملت دلالات شتى، وتحتمل في سياقاتها الكثير من التأويلات، حتى صار لها في العلوم والمعارف المعاصرة شهرةً واسعة.

لقد دلت مفردة الخطاب في موروثنا العربي على التفاعل اللغوي والمعرفي بين غير طرف، فالخطاب: "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة (1)". وجاء الفيروزآبادي (ت 817 هـ) في القاموس المحيط، والزبيدي (ت 1205 هـ) في التاج بكلام مشابه في تعريف لفظ الخطاب.

فاللفظ يدل على "اللغة المستخدمة، أو استخدام اللغة، لا اللغة باعتبارها نظاماً مجرداً (2)" ومع ذلك فإنَّ معظم من كتب عن (الخطاب) من المحدثين أشار لضبابية هذه الكلمة، وتداخلها مع غيرها من المصطلحات، وقلقها، والخلاف حول دلالاتها في الثقافة المعاصرة، وهو الأمر الذي أشبه إلى حدّ ما الخلاف الذي أثير حولها في أقوال المفسرين، وفي علم الأصول في تراثنا العربي.

وقد ورد هذا لفظ الخطاب في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي:

1- قال تعالى: (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) (سورة ص ص 20).

2- وقال تعالى: (فقال أكفأنيها وعزني في الخطاب) (سورة ص : 23).

3- وقال تعالى: (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً) (سورة النبأ : 37)

ومعنى فصل الخطاب في قوله تعالى : "وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" : أي "أعطي الفهم"...وقيل في الخطاب "إصابة القضاء وفهمه"

و(فصل الخطاب "علم القضاء"... وهو أيضا : "الكلام والفهم والبيّنات " أو "الشاهدان واليمين" وقيل: بل هو قول "أما بعد.."(3).

"وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: وفصل الخطاب ؛ هو أن يحكم بالبيّنة أو باليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميّز بين الحكم وضده، وقيل فصل الخطاب : أما بعد ؛ وداوود عليه السلام، أول من قال : أما بعد، وقيل: فصل الخطاب الفقه في القضاء. وقال أبو العباس : معنى أما بعدُ : أما بعدَ ما مضى من الكلام فهو كذا وكذا(4)" ومعنى الخطاب الوارد في قول الله تعالى: "فقال أكفنيها وعزني في الخطاب" أي "صار أعزّ مني في مخاطبته إياي، لأنه تكلم فهو أبينُ مني.. والخطاب الكلام(5)" وأضاف الطبري قول الضحاك (ت 64 هـ) : "إن تكلم كان أبين مني، وإن بطش كان أشدّ مني، وإن دعا كان أكثر مني".(6) فحمل الخطاب معاني ودلالات تجاوز بها حدّ الجملة والكلام، إلى دائرة من التفاعل (اللغوي وغير اللغوي).

أما مدلول الخطاب في قوله تعالى : "رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً (سورة النبأ : 37) أي "لا يملكون أن يخاطبوا الله، والمخاطب : المخاصم الذي يخاصم زميله"(7).

فالخطاب هو الكلام، والفهم، والفقه، وفي أقوال أخرى، هو القضاء، والحوار والخصام... ولا شك أنّ كل هذه المعاني توسع الدائرة الدلالية (للخطاب) لتتجاوز دلالة (الكلام) الذي كثرت الإشارة إليه في المعاجم، ليصل بنا الأمر إلى نشاط اتصالي تفاعلي ضمن سياق ما.

أما (الكلام) بصفته المجردة فلا يشترط له مثل هذا السياق والتفاعل، في حين لو تأملنا الدلالات المتعددة لكلمة خطاب لبدا ذلك التجاذب والموار أو التفاعل. والتأسيس المنسجم مع دلالة (أما بعد..) على سبيل المثال، تلك التي

أشير لها في تفسير (وفصل الخطاب) ودلالات الاتساع في مفهوم الخطاب حين تجاوز الجملة والبنية الكلامية المحدودة.

وإذا أخذنا مفردات مجاورة لمفردة الخطاب في سياقاتها القرآنية للمسنا أبعادا جديدة قد تضاف لتأويلات محتملة تخدم الدلالة الخاصة لمصطلح الخطاب، ومن هذه المجاورات :

- (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان : 63)

- (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) (هود : 37)

- (قال فما خطبك ياسامري) (طه : 95)

- (قال فما خطبكم أيها المرسلون) (الذاريات : 31)

- (قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) (القصص : 23)

- (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) (يوسف : 51)

فنحن أمام مفهوم للخطاب يستمد من معناه العام ، وأطراف من جذوره ومشتقاته ، واجتهادات المؤولين له ، لنرسم بكل ذلك تصورا يعزز النظرة المصطلحية لكلمة (خطاب) من خلال ملازمة الحدث اللغوي الكلامي الناجم عنها لسياق أعم (مناخ موضوعي كلي ، أو قيمي اجتماعي ،... وكأنّ الخطاب في الأمثلة السابقة تناول جزئية ما ضمن هذا الكلي...! لذا فإنّ "مصطلح الخطاب من حيث معناه العام...يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتبارية، بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة⁽⁸⁾".

ومن هنا "يجب أن يكون الخطاب مفهوماً بمعناه الأوسع، فكل تعبير من المفترض أن يوجد له متحدث ومستمع، وفي حالة المتحدث يتم التأثير على الطرف الآخر بطريقة ما... وصرّح روجر فاوولر بأنّ الخطاب هو مشهد مقروء أو مكتوب، من وجهة نظر، المعتقدات، القيم، والمقولات التي تجسدها هذه المعتقدات⁽⁹⁾".

وبما أن الكلمة غادرت مدلولها اللغوي في بعض السياقات فقد أمكن الحديث عن وضع مصطلحي لها، ويشير أحمد مطلوب إلى أنّ "أول المصطلحات العلمية ما جاء في القرآن الكريم، وكان لكثير منها معنى لغوي، فنقلت من معناها الأول إلى المعنى الجديد.⁽¹⁰⁾"

الذي اقتضته الحقيقة الشرعية أو الاجتماعية على سبيل المثال، وإن كنا أمام مصطلح الخطاب بحاجة لبذل المزيد من الاستقراءات والمطالعات والتأويلات؛ لأن استنتاج معنى اصطلاحي له، في ثقافتنا العربية بعامة ليس بالأمر المباشر السهل، غير أن البحث في ميادين معرفية محددة قد يسعفنا في هذا السياق، وربما كان علماء الأصول هم أول من منح كلمة (الخطاب) وضعها المصطلحي، فالغزالي (ت 505 هـ) يرى أن الخطاب "اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس، تقول: سمعت كلام فلان وفصاحته، وقد يطلق على مدلول العبارات، وهي المعاني التي في النفس"⁽¹¹⁾.

وعرّف أبو الحسن الأمدي (ت 631 هـ) الخطاب بأنه: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو منتهي لفهمه"⁽¹²⁾.

وذكر التهانوي أنّ "الخطاب قسمان: تكليفي ووضعي... واعلم أنه قد جرى الخلاف في تسمية كلام الله تعالى خطاباً في الأزل قبل وجود المخاطبين⁽¹³⁾".

وعلى هذا فإن مصطلح الخطاب يشير إلى الكلام النفسي غير المتحقق لفظاً، كما يدل على الرسالة المتحققة فهماً، وبُني على ذلك فهم أصولي مفاده "أنّ الخطاب منه ما هو لفظ، وما هو ليس بلفظ، فاللفظ منهما هو خطاب الله -عز وجل- وخطاب الرسول -صل الله عليه وسلم- وخطاب علماء الأمة (الإجماع). وغير الخطاب منها هو الأفعال والإقرارات، وكذلك القياس والاستصلاح، وغير ذلك من مصادر التشريع"⁽¹⁴⁾.

فالخطاب بهذا الفهم الأصولي يؤدي دلالات عدة، كالعبرة والتصور، والنشاط المعرفي (تشريعي ديني، اجتماعي تواضعي، نفسي... إلخ). بمعنى أنه "اتصال يتم بين المتحدث والمستمع، أو نشاط خاص بالعلاقات بين الأشخاص، والذي يحدد شكله وتكوينه هدفه الاجتماعي"⁽¹⁵⁾.

ويشير بعض الباحثين إلى أنّ مصطلح (الخطاب) "هو الأكثر رواجاً عند أوائل الأصوليين ومتقدميهم، أما عند المتأخرين فقد صار مصطلح النص يزاحم مصطلح الخطاب، وإن استمرت الغلبة لهذا الأخير، ومما يجدر قوله أنّ مصطلحي النص الشرعي والخطاب الشرعي، وإن كانا مترادفين في الدلالة على لفظ الكتاب والسنة، إلا أن الترادف بينهما ليس تاماً، وذلك من جهات:

إحداهما: أن النص من الناحية اللغوية لا تشترط له المواجهة، أي وجود المتكلم والمخاطب في الوقت نفسه. أما الخطاب، فتشترط له المواجهة لغة.

والجهة الثانية: أن الخطاب يتضمن، عند كثير من الأصوليين جميع الأدلة، المعتمدة شرعاً، من كتاب وسنة وإجماع وقياس واستحسان وغير ذلك. أما النص فلا يتضمن إلا دليلي الكتاب والسنة.

والجهة الثالثة: أنّ بعض الأصوليين يستثنى من الخطاب (الفعل النبوي) بينما هو داخل في النص⁽¹⁶⁾.

ومع ضرورة النأي عن المبالغة في تحميل فهم الأصوليين لمصطلح الخطاب ما لم يحمله المصطلح، يجب ألا نذهب إلى تفرغ المصطلح من مدلولاته الاصطلاحية المغايرة للمعنى اللغوي للكلمة، من ذلك نفي الدكتور جابر عصفور أي علاقة بين مصطلح الخطاب بدلالاته المعاصرة، ووجوده في الثقافة العربية، قائلاً: "كلمة الخطاب من الكلمات التي أصبحت تحمل دلالات محدثة، تقترن بما ينطوي عليه المشهد الثقافي المعاصر من خصائص مائزة على مستويات عدة، وآية ذلك إلحاح الكلمة على ممارساتنا اللغوية في السنوات الأخيرة، وكثرة تداولها بين المثقفين العرب، وأداؤها من المعاني ما لم يكن موجوداً، أو مشاراً إليه، في اللغة العربية، منذ عهد قريب، ورغم أنّ الكلمة قديمة، من حيث أصولها العربية المقترنة بالنطق، فإن استخداماتها المحدثة، أو المعاصرة، بوصفها مصطلحاً له أهميته المتزايدة، تدخل بمعانيها إلى دائرة المعرب، أو الدخيل، من الكلمات الاصطلاحية التي هي أقرب إلى الترجمة، والتي تشير حقولها الدلالية إلى معان وافدة، ليست من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية"⁽¹⁷⁾.

وفي هذا الذي يذهب إليه جابر عصفور، من التجني ما فيه؛ لأنه تعميم واضح من جهة، ولأن قليلاً من التأمل في استخدام المصطلح في (علم الأصول)، بل في دلالاته اللغوية المتحركة، من جهة أخرى، يظهر بعض الوشائج بين مفهوم مصطلح الخطاب في تراثنا العربي ومفهومه في الثقافة الغربية المعاصرة، ولعل هذه المدافعة لا تأتي من قبيل الحرص على ربط تراثنا بثقافة الآخر، بقدر ما هي نابعة من إقرار واقع معرفي، وإبراز حقيقة ثقافية منطبقة على مسيرة كلمة الخطاب. وسيرورتها من بيئتها اللغوية إلى القرآنية ثم الأصولية التي أوجز الباحث الحالي أبرز ملامحها فيما سبق. ألا يكفي هذا التداخل الدلالي بين مصطلحي (النص والخطاب) في الثقافة العربية، ونظيره من التداخل بين عين المصطلحين

في ثقافة الغرب برهانا ودليلا على بعض التواشج - ولو خارجيا - بين شخصيتي المصطلحين في هاتين الثقافتين؟! وخاصة حين نقف على إشارة كل من "جريماس وكورتيس في معجمهما إلى أنّ مصطلح النص يؤخذ في الغالب كمرادف لمصطلح الخطاب⁽¹⁸⁾".

وقد بدا لنا هذا التداخل واضحا في الخطاب الأصولي كما سلف، بل بدا لنا أيضا نوع من الوعي بضرورة التفريق بين المصلحين عند الأصوليين، وبالمقابل طالما جهدت الثقافة الغربية المعاصرة في رسم ملامح فارقة بينهما، منها ما جاء في معجم (D.Crystal) من أنّ "النص كائن فيزيائي منجز، أما الخطاب فهو موطن التفاعل، والوجه المتحرك منه ويتمثل في التعبير والتأويل⁽¹⁹⁾".

كما أن قليلاً من المراجعة لاستخدام المصطلح في علم الأصول، بل في دلالاته اللغوية المتحركة من قبل، لا يخفي بعض الوشائج بين مفهوم مصطلح الخطاب في تراثنا العربي ومفهومه في الثقافة الغربية المعاصرة، ولعل هذه المدافعة لا تأتي من قبيل الحرص على ربط تراثنا بثقافة الآخر بقدر ما هي نابعة من إقرار واقع معرفي، وإبراز حقيقة ثقافية. وإلا كيف يكون الفعل الأصل لكلمة (خطاب) في لغات الغرب "يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة، والارتجال، وغير ذلك من الدلالات التي أفضت، في اللغة الأوروبية الحديثة إلى معاني العرض والسرد والخطبة الطويلة.. وأخيراً اللغة من حيث هي أفعال أدائية لفاعلين، وممارسات اجتماعية لذوات تمارس الفعل الاجتماعي وتتفاعل به بواسطة اللغة⁽²⁰⁾". كيف يكون هذا كله، ولا نقر بحقيقة اصطلاحية كلمة الخطاب في ثقافة العرب وموروثهم اللغوي.

ولعلنا لا نبالغ في تحميل فهم الأصوليين لمصطلح الخطاب ما لم يحمله المصطلح، ولكن الباحث لا يرمي - في الوقت نفسه - إلى تفرغ المصطلح من

مدلولاته الاصطلاحية المغايرة للمعنى اللغوي للكلمة، وخاصة حين نعلم أنّ "مصطلح الخطاب في المفهوم المعاصر يعبر عن القول الذي يتجاوز الجملة" (21). وبذا من غير الإنصاف عزل منجزنا الثقافي عن سياقاته الإنسانية، والاكتفاء بظاهر القضية - في موضوعنا تحديداً - لأن استخدامات المصطلح توضح كيف يتفق في بعض ملامحه مع المفهوم المعاصر للمصطلح، وخاصة حين نعلم أنّ "مصطلح الخطاب في المفهوم المعاصر يعبر عن القول الذي يتجاوز الجملة" (22).

كما أنّ إشكالية التداخل المعاصر بين مصطلحي (النص / Text) و(الخطاب Discourse) والنظر إلى مصطلح الخطاب بصفته مصطلحاً مربكاً في الثقافة الغربية نفسها، هو بعض الإرباك الذي أحاط بالمصطلح في موروثنا العربي.

ولحل مثل هذا الإرباك حاول الغربيون إيضاح الفرق بين (النص والخطاب) ليذهبوا إلى أنّ "اللسان والكلام معنيان لا يكافئ أيّ منهما ما نعنيه بالخطاب، ولكن تناولهما قد يساعد في استجلاء بعض التصورات الخاصة باللغة، وما يختلف به الخطاب عن هذه التصورات" (23).

مضيفين لذلك " أنّ الشروط الاجتماعية هي التي تحدد خصائص الخطاب " (24) للوصول إلى تحديد أدق لماهية الخطاب، يمتاز فيه كلياً عن (مصطلح النص) من خلال التأكيد على أنّ "النص نتاج وليس سيرورة... أما مصطلح الخطاب فيستخدم للإشارة إلى كامل سيرورة التفاعل الاجتماعي التي لا يشكل النص سوى جزء منها. فسيرورة التفاعل الاجتماعي هذه تشتمل، بالإضافة إلى النص، على سيرورة الإنتاج التي يكون النص نتاجاً لها، وعلى سيرورة التأويل التي يكون النص مرجعها. وهذا ما يجعل تحليل النص جزءاً واحداً فحسب من تحليل الخطاب الذي يشتمل أيضاً على تحليل السيرورتين الإنتاجية والتأويلية" (25).

ولا شك أن انتقال مصطلح الخطاب بين بيئات ثقافية متباينة أكسب المصطلح ثراءً مفهوماً واضحاً، فقد استخدم البلاغيون والنقاد العرب القدماء مصطلح (الخطاب) استخداماً خاصاً، كما ظهر في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ومعجم النقد العربي القديم لأحمد مطلوب، فكلا المعجمين يرصدان دلالات متقاربة (للمصطلح) ليغدو أقرب إلى مصطلح (الأسلوب) حيث ذكر الزركشي (ت 794 هـ) في البرهان، أربعين وجهاً من أوجه الخطاب في القرآن الكريم، منها (26):

- خطاب التهكم، كقوله تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الكريم".

- وخطاب التعجيز، كقوله تعالى: "فأتوا بسورة من مثله".

والمقصود بالأسلوب هنا: (الغرض البلاغي).

ولا شك أن هذا التصنيف للأساليب وعدّ كل منها خطاباً هو مقارنة اصطلاحية لكلمة (الخطاب)، فقولنا: (خطاب التعجيز) مثلاً، لا يعني أبداً الجملة أو المثال تحديداً، ولا يعني فقط الكلام المشار إليه بجملة محددة، بل هو ميدان لغويّ أسلوبيّ دلاليّ ثقافيّ عام، يتضمن كل المعطيات اللفظية والنفسية والقيم والمواضع المنتجة في إطار خطاب لغويّ مكون من (مخاطب / ومخاطب / ومعرفة لغوية مسبقة بمفهوم التعجيز / وتصور ما للمعجز وغير المعجز / وسوى ذلك...).

وإذا دلّ مصطلح (الخطاب) على مفهوم الأسلوب في جوانبه المعنوية وأغراضه البلاغية، فقد دلّ أيضاً على مفهوم الأسلوب في جانبه الفني الصياغي، وهو ما نجده عند بعض النقاد والبلاغيين الأندلسيين كالكلاعي (ت ق 6 هـ). صاحب (إحكام صناعة الكلام) الذي عقد فصلاً في (أقسام الخطاب) قائلاً: "الخطاب يقسم إلى ثلاثة أقسام: منه مارفل ثوب لفظه على جسد معناه، وهذا هو

الإسهاب، ومنه ما ثوب لفظه كثوب المؤمن، وهذا هو الإيجاز، ومنه ما خيط ثوب لفظه على جسد معناه، وهذا هو المساواة⁽²⁷⁾.

فالخطاب لديه تعبير عن باب بلاغي كليّ، مكتمل (ببنائه اللغوي، وتجلياته الدلالية، ومعطياته الجمالية، وغير ذلك).

ولعل ابن البناء المراكشي العددي (ت 721هـ) هو من أكسب مصطلح (الخطاب) ملامح الفعالية الفكرية الكلية، والإطار الثقافي، والممارسة الشمولية، وجعله أقرب إلى كونه ممارسة جمعية، وذلك حين جعل (البرهان) خطاباً.. وكذلك الجدل، والخطابة، والشعر، فكل ممارسة لغوية ونشاط معرفي من هذه الممارسات والأنشطة (خطابٌ)، وهو ما يفضي إلى تشكيل وعي جديد لمصطلح الخطاب، يضاف إلى إشارة الكلاعي السابقة، حين نتحول بالمصطلح من الجملة إلى ما هو أوسع منها، وفي هذا الوعي تأسيس جديد لتحولات هذا المصطلح الخطاب ضمن جهاز المفاهيم في موروثنا العربي.

ومع أنّ البحث الحالي غير مشغول بمسألة تحليل الخطاب، ولا تعنيه تفاصيلها، إلا أنّ ما سبق يضيء جانباً من جوانب اللحاحات السريعة التي بثها ابن البناء المراكشي في الروض المريع مما أشرت إليه سابقاً، وأضيف إليه هنا ما نصّ عليه ابن البناء تحديداً قائلاً :

"وينقسم القول إلى موزون مقفى وهو المنظوم، وإلى غير ذلك، وهو المنثور، ويستعمل كل واحد منهما في المخاطبات، وهي على خمسة أنحاء:

الأول: البرهان، وهو الخطاب بأقوال اضطرارية، يحصل عنها اليقين.

والثاني: الجدل، وهو الخطاب بأقوال مشهورة، يحصل عنها الظنّ الغالب.

والثالث: الخطابة، وهو الخطاب بأقوال مقبولة يحصل عنها الإقناع.

والرابع : الشعر، وهو الخطاب بأقوال كاذبة مخيَّلة على سبيل المحاكاة، يحصل عنها استفزاز بالتوهمات.

والخامس: المغالطة، وهو الخطاب بأقوال كاذبة يحصل عنها ظهور ما ليس بحق أنه حق⁽²⁸⁾.

وبما أن مصطلح الخطاب في المدونة اللسانية المعاصرة خاضع للتأويل، بل إنه ذو "مفهوم مائع ومتعدد الدلالات"⁽²⁹⁾.

على حدّ تعبير بعضهم، فإن مفهومه في تراثنا العربي أشدّ احتياجا لهذا التأويل، وللمزيد من المحاوراة والاجتهاد، وحسبنا أن نفتح الباب، لنقف على قول فصل في مصطلح (الخطاب).

ويعزز هذا الرأي ما نجده عند ابن الأثير (ت 630 هـ) في المثل السائر، والعلوي (ت 749 هـ) في الطراز من أنّ "الخطاب بالجملة الاسمية يؤتى به لغرض خاص". (الطراز، 25/2).

الحواشي

- (1) (لسان العرب لابن منظور، مادة خ ط ب) وجاء الفيروزآبادي (ت 817 هـ) في القاموس المحيط، والزبيدي (ت 1205 هـ) في التاج بكلام مشابه في تعريف لفظ الخطاب.
- (2) (المصطلحات الأدبية الحديثة ، محمد عناني، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ص 19).
- (3) (تفسير الطبري).
- (4) (لسان العرب، ابن منظور، مادة : خ ط ب).
- (5) (تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري).
- (6) (نفسه، تفسير سورة ص، آية 23).
- (7) (نفسه، تفسير سورة النبأ : 37).
- (8) (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، تر : محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ص 38).
- (9) (مفهوم الخطاب والدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، سارا ميلز ، تر : عصام كامل، دار فرحة، مصر، 2003، ص ص 12-13).
- (10) (بحوث مصطلحية، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1427 هـ - 2006، ص 100).
- (11) (المستشفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، 64/1).

- (12) (الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، دار ابن حزم ودار الآفاق الجديدة
ع18/1).
- (13) (كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، مادة : خطاب)
- (14) (قراءة في فهم الخطاب الشرعي عند الأصوليين، حسين زعطوط، مجلة الأثر،
ع13، مارس2012، ص 133).
- (15) (مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، سارا ميلز، ترجمة :
عصام كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 10).
- (16) (قراءة نقدية في مصطلح النص في الفقه الأصولي، أيمن علي صالح، مجلة
إسلامية المعرفة، س9، ع 33-34، 2003، صص 61-62)
- (17) (خطاب الخطاب، جابر عصفور، ضمن : في محراب المعرفة، دراسات مهداة
إلى إحسان عباس، تحرير د. إبراهيم السعافين، دار صادر، ط1، 1997،
ص 97).
- (18) (مفهوم النص، محمد وهابي، مجلة عالم الفكر، ع2، مج 41، 2012،
ص202، وهو ينقل عن معجم سيميائي منشور بالفرنسية لهذين المؤلفين)
- (19) (نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993،
ص 12، نقلا عن (Linguistics and Phonetics, A dictionary of
- (20) (خطاب الخطاب، جابر عصفور، ص 97).
- (21) (معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة ناشرون - لبنان، ط1،
202، ص 89)

- (22) (معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة ناشرون - لبنان، ط1، 202، ص 89).
- (23) (الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، نورمان فيركلو، تر: رشاد عبدالقادر، مجلة الكرمل، ع64، 200م، ص 156).
- (24) (نفسه، ص155).
- (25) (نفسه 159).
- (26) البرهان، الزركشي / وتواترت هذه الدلالات البلاغية عند الزمخشري (ت 538 هـ) في الكشف، والسبكي (ت 773 هـ). في عروس الأفراح (473/4).
- (27) (إحكام صنعة الكلام، لإبي القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة بيروت، 1966، ص89).
- (28) (الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي العددي، تحقيق، رضوان بنشقرون، 1985، ص 81).
- (29) (تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989، ص 25).

التعليقات والمناقشات

- د. إيمان الكيلاني

تعلق على فكرة ذكورة اللغة أو أنوثتها، وتعدّ هذه الفكرة متسرية من الدراسات الغربية، وترى أننا بحاجة إلى الاطلاع على المناهج الحديثة التي يتبعونها في دراسة المجتمع، وتشير إلى أن اللغة التي طبقت لدى بعض الباحثين عندنا كانت سيئة جداً وكأن الهدف هو مهاجمة هذه اللغة وأهلها.

وترى أن حقيقة الأمر ليست الذكورة بمعنى الذكورة، وإنما ثمة أنوثة في الموضوع، فاللغة التي تعدّ ذكورية هي اللغة المحايدة أي أصل اللغة، ولكن حينما تتقدم اللغة باتجاه الارتقاء فإنها تعتمد إلى التخصيص، والتأنيث هو التخصيص وما دون ذلك هو اللغة المحايدة، وتوصي بأن ننطلق في دراساتنا من هذا المنطلق.

- د. غالب الشاويش

يستفسر عن طبيعة الخطاب القرآني حين خاطب الله أهل مكة بـ"يا أيها الناس"؛ إذ يدخل تحت مظلة الناس الكافر منهم والمؤمن.

وحين وجه الخطاب إلى أهل المدينة بـ: "يا أيها الذين آمنوا". ويدخل تحت مظلة الإيمان المؤمنون فقط، ويعتقد أن كلمة الناس -كما يذكر الدكتور عودة أبو عودة- لها استعمالات عامّة وخاصة، فحين قال تعالى: "يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم" هذا خطاب عام، وحين قال تعالى: "وعلى الناس حجّ البيت" هذا خطاب خاص.

- د. رائد عكاشة

يرى أنّ ما ورد من محاولة تأصيل لمفهوم الخطاب كان فيه كثير من التجني على الجهود الإنسانية التي تعاملت مع هذا المصطلح، فالدراسات النفسية

والإنسانية والثقافية تبتعد كلياً عما تُحدِّث فيه عن مفهوم المصطلح. والخطاب قد يعني المجادلة أو المناقشة أو المحاورَة أو المساءلة، وعملية التّأصيل ينبغي أن يكون لها أسس علمية؛ كي نرى الموضوع في مفهومه الحاضر ونفككه في بنيته المعرفية الغربية ومن ثم نراه في تراثنا وبعدها نوازن بين المفهومين لنتمكن من وضع نظرية معرفية جديدة فيما يتعلق بالخطاب.

- د. عاطف فضل

يتساءل: لماذا - دائماً- يقوم الدارسون بالبحث عن أصول تراثية لأي مصطلح وافد، وكما نعرف أن دلالة المصطلح في أي أمة من الأمم تختلف عن دلالة المصطلح في أمة أخرى، على سبيل المثال: مصطلح فقه اللغة ومصطلح علم اللغة اختلف فيهما الباحثون في العصر الحديث اختلافاً كبيراً حتى احتكموا إلى المستشرق (جويدي) لتحديد مصطلح فقه اللغة.

ويشير إلى قضية غريبة المصطلح التي نشهدها حالياً كأن نستخدم المصطلح الإنجليزي أو الفرنسي بحروف عربيّة وهكذا.

- د. حامد صادق قنبيبي

يقول: لو استعرضنا لغة الخطاب في العصر الحديث لوجدنا أن هذا المصطلح لفظ مُشكل فعلاً؛ لأننا أردنا أن نركب المفهوم الغربي على التراث العربي لذلك ارتبكنا في فهم كلمة الخطاب.

ويرى أن يخرج المؤتمر بتوصيات توجد بديلاً للفظ الخطاب؛ لأن الخطاب في موروثنا واضحٌ وبيّنٌ ومستمدٌ من لغة القرآن الكريم التي هي (فصل الخطاب)، ويعتقد أن وجهة نظر جابر عصفور معقولة حين قال: "كلمة الخطاب إمّا أن تكون معرّبة أو دخيلة يراد بها استخدام اللفظ كما هي في الغرب أو مولّدة بمعنى

أنها لفظة جديدة في حياتنا وليست لها علاقة بموروثنا الثقافي؛ لذلك يرى أنه يجب أن نعرّف الخطاب بلفظة جديدة أو نضيف لكلمة الخطاب كلمة بحيث توضّح عن أيّ خطاب نتحدّث فنقول: خطاب كذا أو كذا ... لأن هناك انزياحاً في المفهوم بين الخطاب في الموروث العربي الإسلامي والخطاب كما نقلناه وألبسناه لحاضرنا اللغوي والفكري والثقافي.

رد الدكتور عباس عبدالحليم عباس

فيما يخص دراسة الخطاب الأخلاقي الذي أشارت إليه الدكتورة إيمان يعتقد أنه من خلال بعض القراءات أن هذا المنحى موجوداً في الوظيفة الاجتماعية للخطاب أو الدراسات الاجتماعية له.

وفي سياق ردّه على الدكتور الشاويش فيما يخص الخطاب المدني والمكي يقول: في محاولتي التأصيلية لمصطلح الخطاب لم يكن يعنيني كيف عرّف ابن عباس وغيره مصطلح الخطاب أو وجوه الاختلاف والاتفاق بين القرآن المكي والمدني، ولكن ما كان يعنيني هو أن ابن عباس التفت التفاتةً ذكيةً مبكرةً إلى أن الخطاب ليس هو الكلام وإنما هو المنظومة الفكرية الكلية الكامنة؛ لذلك عندما قال: خطاب أهل مكة هو الخطاب المكي وخطاب أهل المدينة هو الخطاب المدني؛ يكون قد قسم القرآن إلى خطابين يمتاز كلُّ منهما عن الآخر وهذا دليل على نضج الرؤية لمصطلح في فترة مبكرة من تراثنا.

كما يشير إلى قضية الحداثة والتراث في كل ظاهرة؛ إذ لا بدّ لكل ظاهرة إنسانية في العصر الحديث أن يكون لها جذور وسيرورة؛ لذلك ربما ارتأى القائمون على هذا المؤتمر أن يبدؤوا بالتراث العربي ثم بالفروع الأخرى للمسألة.

وفي معرض ردّه على ملاحظة الدكتور رائد عكاشة فيما يخص التجني على الدراسات الإنسانية المعاصرة يقول: ليس في الأمر تجنّ وإنما هو نوع من البحث عن الوشائج التي ينكرها البعض، ولكن هذا لا يبرر التجني على التراث ولا يجوز أن ننكر ولو نزرأ يسيراً من المنجز في مدوناتنا التراثية.

وفيما يخص منهج الاستقراء يقول: نحن -للأسف- نقع في كثير من الإشكالات والأخطاء في أبحاثنا، ومردّد ذلك هو افتقارنا لمعجم تاريخي يستقرئ اللفظ في مراحل تاريخية مختلفة، وهذا خللٌ نعاني منه في كل دراساتنا الإنسانية. وفي ردّه على سؤال: لماذا دائماً نبحث عن أصول تراثية للمصطلح الوافد؟، يقول: ذكرت مصطلح الخطاب في كل السياقات التراثية القديمة بالكلمة نفسها سواءً كان ذلك في السياق اللغوي أو التفسيري أو الأصولي أو البلاغي أو النقدي، فابن البناء المراكشي يقول: الشعر خطاب المخيلة، فهل يعني ذلك: الخطاب من مرسل ومُستقبل، إنما هو فعالية أدبية تخيلية كلية، وهذا يقترب جداً من المعنى الذي يُمنح لهذا المصطلح في سياقات معنوية، ولا أدعي أنه هو المطروح نفسه في الإنثربولوجيا وعلم الاجتماع وفي السياسة والإعلام وإنما قريبٌ جداً منه.

كما يرى أنه لا بدّ من وجود ولو خيط خفي يربط المعنى اللغوي بالاصطلاحي فيما يخص تعريف مصطلح الخطاب، وهذا ما أكّده المصطلحيون أنفسهم.